﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء: 19 - 20]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

كـلُّ مَـن في السـماوات والأرض ملك لله تعالى

بعدما نزَّه الله تعالى نفسه عن اللّهو، وأثبت لنفسه الحكمة والتدبير، وبيَّن ما لأهل الظلم من عذاب؛ بيَّن أنه سبحانه يملك كلَّ مَن في السماوات الأرض، فهم مخلوقون ومملوكون له سبحانه، والملائكة المُقرَّبون منزَّلون لكرامتهم عند الله تعالى منزلة المقربين، ولكونهم في محل ظهور سلطانه، وهم لا يَعيَوْن ولا يتعبون، وهم دائمو التسبيح والتعظيم، وهو عندهم كنفس ابن آدم.

❁ شرح المفردات:

1) ﴿يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾: (حسر) أصلٌ واحدٌ، وهو كشفُ الشّيء؛ ومنه الحسرة؛ أي: التَّلهُّف على الشيء الفائت، وذلك بانكشاف أمره في جزعه وقلَّة صبره، وحسر البصر إذا كَلَّ، وذلك بانكشاف حاله في قلة بصره وضعفه[1]؛ وعلى هذا فكلّ المعاني التي ذُكرت في معجمات اللغة من الإعياء والتعب، وانحسار القوة من فرط غمّ، والكمد على الشَّيْء الفائِت، والغمّ، والجزع، والندم عليه، والملل، وقلّة الصبر تعود إلى انكشاف الحال[2]؛ وعليه فمعنى ﴿وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ في الآية: لا يتعبون تعبًا شديدًا يقتضيه عملهم العظيم، ولا يكلّون.

2) ﴿يَفۡتُرُونَ﴾: (فتر) أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على ضَعْفٍ في الشَّيْءِ،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حسر).

(2) الخليل، العين، وابن دريد، جمهرة اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن سيده، المُحكَم، والراغب، المُفردات: (حسر).

والفُتورُ: سكونٌ بعد حدَّة، ولينٌ بعد شدّة، وضَعْفٌ بعد قوّة، وانكسارٌ بعد صلابة، وارتخاء وانبساط بعد انكماش، وانقطاع بعد مدَّة، ومنه (الفَتْرَةُ): ما بين الرسولَيْن من رسل اللّه ﷻ[1]، وقوله: ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾؛ أيْ: لا يسكنون عن نشاطهم في العبادة ولا يقطعون عبادتهم.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ملائكة الله تعالى عبادتهم موصولة دون فتور أو ملل

الآية الكريمة "استئنافٌ مُؤكِّد لما قبله من أن جميع المخلوقات خاضعة لقدرته تعالى؛ أيْ: وله وحده سبحانه جميع مَن في السماوات والأرض، خلقًا، وملكًا، وتدبيرًا، وتصرفًا وإحياءً، وإماتةً، لا يخرج منهم أحد عن علمه وقدرته ﷻ، ثم بيَّن سبحانه نماذج من عباده الطائعين له، بعد أن حكى أقوال أولئك الضالين، فقال: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾"[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ عطف مطلع الآية:

لله تعالى جميعُ المخلوقات خلقًا ومُلكا وتدبيرًا وإحياءً وإماتةً وغير ذلك

وجملة ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: "استئنافٌ مُقرِّرٌ لما قبله من خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغةٍ ونظام كامل، وأنَّه تعالى يُحِقُّ الحقَّ ويُزْهق الباطل؛ أيْ: له تعالى خاصَّة جميعُ المخلوقات خلقًا ومُلكًا وتدبيرًا وتصرُّفًا وإحياءً وإماتةً وتعذيبًا وإثابةً من غير أن يكون لأحدٍ في ذلك دخلٌ ما استقلالاً أو استتباعًا"[3]؛ لأنّ "كُلَّ مَنْ في السَّماواتِ والأرْض عبادٌ للّه تَعالى مَخْلوقونَ لِقَبولِ تَكْليفِه والقيامِ بما خُلِقوا لِأجْلِه، وهو تَخلُّصٌ إلى إبْطالِ الشِّرْكِ بالحُجَّةِ الدامغة بعد الإفاضَة في إثْباتِ صِدْقِ الرَّسولِ ﷺ وحُجّيةِ القُرْآنِ"[4].

(1) الخليل، العين، والجوهري، الصِّحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة: (فتر).
(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 9/ 195.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 60.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 35.

معنى اللّام في ﴿وَلَهُۥ﴾:

الـكـلّ عـبـيـده ومـمـالـيـكـه، فكيف يُتَّخذون آلهة تُعبدُ من دونه سبحانه؟!

لام ﴿وَلَهُۥ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ لام المِلْك الحقيقي؛ وهو ما يكون لما حصل وثبت وهي جارَّة، قال الرّاغب: "وليس نعني بالمِلْك مِلْك العين؛ بل قد يكون مِلْكًا لبعض المنافع، أو لضرب من التّصرّف، فمِلْكُ العين نحو: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [المائدة: 18]، وملك التّصرّف كقولك لِمَنْ يأخذ معك خشبًا: خُذْ طرفك لآخذ طرفي، وقولهم: لله كذا، نحو: لله درُّك، فقد قيل: إنَّ القصد أنّ هذا الشيء لشرفه لا يستحقّ مِلْكه غير الله، وقيل: القصد به أن يُنسب إليه إيجاده؛ أيْ: هو الذي أوجده إبداعًا"[1].

سرُّ تقديم الجارِّ والمجرور في ﴿وَلَهُۥ﴾:

مَـــــردُّ كـــلِّ المـوجـودات إلى مُوجِدِها وحده ﷻ

في قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ ورد ﴿وَلَهُۥ﴾ مُقدَّمًا مُرادًا به الاختصاص؛ لكون ما في السماوات والأرض له ﷻ لا لغيره، ولم يدَّع أحدٌ على الإطلاق خلقهما أو إيجاد ما فيها.

دلالة القصر:

كـــل شيء في الكون باتِّساعه وشمـولـه مِلكٌ لله الغني

القصر في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ قصرُ إفراد قصرًا حقيقيًّا، وهو من قصر الصِّفة على الموصوف طريقه التَّقديم، ليقصر فيه الحُكمَ على واحدٍ موجود هو الله تعالى، وأُريد بهذا الرَّدُّ على المشركين؛ وهم الذين أشركوا مع الله سبحانه غيره في الألوهيَّة لفساد معتقدهم.

دلالة ﴿مَن﴾ في قوله: ﴿وَلَهُۥ مَن﴾:

مدحٌ وثناءٌ على الملائكة الكرام

و﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ يَعُمُّ العُقَلاءَ وغيْرَهُم وغُلِّبَ اسْمُ المَوْصولِ الغالِبُ في العُقَلاء؛ لِأَنَّهُمُ المَقْصودُ الأَوَّلُ، ويجوز في ﴿مَن﴾ هنا العطف على ﴿مَن﴾ الأُولى، أخبرَ تعالى عن مَنْ في السماوات

(1) الرّاغب، المُفردات: (لام).

والأرض، وعن مَنْ عنده بأنَّ الكلَّ له في ملْكِه، ليكون من باب ذِكْرِ الخاصِّ بعد العامِّ لِلاهْتِمامِ به والتَّنبيه على شرفه؛ لأنَّ قولَه: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ شَمل مَنْ عنده"[1].

دلالة حرف الجرِّ في ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾:

التعبير بـ﴿فِي﴾ الدّالَّة على الظَّرفيَّة في قوله تعالى: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ للدلالة على الاستقرار والتَّمكُّن في كلٍّ من السماوات والأرض لا ينفكّون عنها أبدًا.

بيان المُراد بالعنديَّة في ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾:

أُريد بـ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ الملائكة المُقرَّبون أو الملائكة مُطلقًا عليهم السلام، والمُراد بالعنديَّة عنديَّة الشَّرف لا عنديَّة المكان، وقد شُبِّه قُرب المكانة والمنزلة بقُرب المكان والمسافة، فعُبِّر عن المُشبَّه بلفظٍ دالٍّ على المُشبَّه به؛ فهناك استعارة تصريحيَّة، وقيل: "عبّر عنهم بذلك إثرَ ما عبّر عنهم بمَنْ في السموات تنزيلًا لهم لكرامتهم عليه ﷻ وزُلْفاهم عنده منزلةَ المُقرَّبين عند الملوك بطريق التَّمثيل وهو مبتدأٌ خبرُه ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾.

الأصل أنَّهم ممدوحون لكونهم عند مالك المُلك ﷻ

دلالة التعريف في ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾:

ورد لفظ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هنا معرَّفًا بـ(أل) العهديَّة لكونهما معهودَيْن معلومَيْن لا يغيبان عن المشاهد، تعظيمًا لشأنهما، وبيانًا لمكانتهما في الخلق؛ إذ هما أعظم مخلوقَيْن خلقهما الله تعالى، ولم يدَّعِ أحدٌ قدرته على خلقهما أو إيجادهما مع خلقهما على غير مثالٍ سابقٍ، فورد التَّعريف للتَّعظيم والتَّشريف لهما، وخصّا بالذِّكر لاشتمالهما على المنافع الجسيمة والفوائد الجَمَّة الكثيرة؛ فهما محلُّ العِظَة والاعتبار.

سَعَة مُلْكِه جلَّ شأنه وغِناهُ محلٌّ للعِظة والاعتبار

(1) السَّمين الحلبيُّ، الدُّرُّ المَصون: 8/ 139، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 35.

مفهوم النَّفي في قوله: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾:

﴿لَا﴾ تكون للنَّفي؛ وهي تدخل على الأسماء والأفعال، وتعمل عمل (إنْ) النافية للجنس؛ أيْ: إنَّها تنفي ما أوجبته (إنْ)، ولهذا تُشَبَّه بها في الأعمال، ويُنفى بها المضارع مُرادًا به نفيُ الدَّوام، والنَّفي بها يتناول فعل المُتكلِّم وفعل المُخاطَب، والمُراد في قوله سبحانه: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ نفي تكبُّرهم واستعظامهم عن عبادة الله تعالى ولا يحسبون أنفسهم كذلك؛ بل هم مُخْبِتون طائعون لربِّهم، فلا يَرِدُ الاستكبار أو العظمة على بالهم، ولم يمرَّ بخاطرهم أبدًا؛ فهم الذّاكرون المُقرَّبون.

ملائكة الله الكرام لا يعرفون الكِبْر ولا يمرُّ بخاطرهم أبدًا

إيثار التَّعبير بالفعل المضارع ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾:

ورد الفعل ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ مضارعًا للدلالة على نفي تجدُّد الاستكبار والعظمة منهم واستمراره مع استحضار صورتهم تلك، وهم عباد الله المخلصون - صلوات الله عليهم أجمعين - فلا استكبار يقع منهم ولا عظمة يتَّصفون بها لعلمهم الكامل بجلال خالقهم وطاعة أوامره والوقوف عند حدودها، ويُلاحَظ هنا بناء الفعل على زيادة حرفِ السّين مع التّاء مبالغةً في نفي الاستكبار لا التَّكبُّر فحسب.

ملائكة الله يعلمون جلالَ خالقهم وطاعةَ أوامره والوقوفَ عند حدودها

موقع جملة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ إعرابيًّا:

في جملة: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وجهان إعرابيّان؛ أحدهما: أنَّها حالٌ مِنْ (مَنْ) الأُولى أو الثانية أو منهما معًا، ويجوزُ أنْ يكون ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ﴾ مُبْتَدأً وجُملَةُ لا يَسْتَكْبِرونَ عَنْ عِبادَتِه خَبرًا، وعلى كِلا الوجْهَيْنِ فإنّ جُملَةَ ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ يَكونُ المَقْصودُ مِنْها التَّعْريضَ بالَّذينَ يَسْتَكْبِرونَ عَنْ عِبادَةِ الله ويعْبُدونَ الأصْنامَ وهُمُ المُشْرِكونَ[1].

الكِبْر هو بداية الانحراف والبُعد عن الله تعالى، هكذا فعل إبليس

(1) السمين الحلبي، الدر المصون: 8/ 140، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 35.

مفهوم ﴿عَنۡ﴾ في ﴿عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾:

﴿عَنۡ﴾ حرف جرٍّ يقتضي مجاوزة ما أُضيف إليه نحو غيره وتعديه عنه، وهو أعمُّ من (على)؛ لأنَّه يُستعمل في الجهات السّت"[1]، والمُراد به في قوله: ﴿عَنۡ عِبَادَتِهِۦ﴾: لا يتجاوز الملائكة ﷺ عبادة ربِّهم ﷻ إلى عبادة غيره كفعل بعض البشر؛ لأنَّهم جُبِلوا على الطّاعة لا يفارقونها قَدْر أُنْمُلة؛ فلا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

الملائكة خلقوا على الطّاعة لا يُفارقونها قَدْرَ أُنملة

سرُّ التعبير بالعبادة دون سواها:

"العُبوديةُ: إظهار التّذلّل، والعِبادَةُ أبلغُ منها؛ لأنها غاية التّذلُّل، ولا يستحقُّها إلّا مَن له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولهذا قال: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23]، ولمّا كان الله جلَّ شأنه هو المُوجِد والآمِر؛ استحقَّ وحدَهُ أن يُفرده هؤلاء الملائكة الكرام المقرَّبون بالتَّسبيح والتَّحميد والعبادة والذِّكر.

إفراد الملائكة الكرام بالتَّسبيح والتحميد والعبادة استحقاقٌ لله تعالى وحده

دلالة العطف في: ﴿وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾:

لمّا نفى الله تعالى عن ملائكته الكرام استكبارهم وتعظُّمهم عن عبادته وأنَّهم طائعون مُخبِتون له تعالى؛ عاد مُعبِّرًا عنهم بصفةٍ أخرى؛ وهي نفي التَّعب عنهم في هذه العبادة؛ فهم لا يَكلُّون ولا يتعبون، ولا يُصيبهم الإعياء والملل؛ لأنَّ الله ﷻ أقدرهم على ذلك ومنحهم ذِكْرَه والثَّناءَ عليه، والتَّعبير بهذه الجملة تتميمٌ لبيان أدب هؤلاء الملائكة وعُلُوِّ هِمَّتهم، عرفوا قدر ربِّهم؛ فأخلصوا له العبادة لعلمهم بكونه جديرًا بها دون غيره سبحانه.

الملائكة لا يعرفون التعب ولا يُصيبهم الإعياء والملل

بلاغة التَّعبير بـ﴿يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ على صيغة الاستفعال:

السّين والتاء في المصدر (الاِسْتِحْسارُ) للمبالغة في وصف الحُسور؛ لكون صيغة (الاستفعال) منبئةً عن المبالغة، لتدلّ على

الملائكة لا يَقعُ مِنْهُم استحسارٌ مهما ثقُلت الأعمال

(1) الزركشي، البرهان: 4/ 286.

أن الاسْتِحْسارَ - وهو التعب الشديد - لا يصدر من الملائكة مع ثقل عملهم ودوامها؛ أيْ: إنّ عباداتِهم بثقلها ودوامها حقيقةٌ بأن يُستَحسَر منها ومع ذلك لا يستحسرون؛ فناسب نفيُ الوصفِ العملَ في الشدّة والقوّة، وهذا من بديع اصطفاء الألفاظ المناسبة للسياق في القرآن الكريم، وتنبغي الإشارة إلى أنّه ليس المراد هنا إفادة نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت أصلِه في الجملة، فلا يُفْهَمُ مِنْ نَفْيِ الحُسورِ القَوي أنَّهُم قَدْ يَحْسُرونَ حُسورًا ضَعيفًا، وهو ما يُعَبِّرُ عَنْهُ أهلُ المَعاني بأنَّ المُبالَغة في النَّفْيِ لا في المَنْفي[1].

وجه حذف مُتعلّق الفعل ﴿يَسْتَحْسِرُونَ﴾:

من المعلوم أنّ حياة الملائكة كلُّها عبادة

حُذِف متعلِّق الفعل ﴿يَسْتَحْسِرُونَ﴾ للعلم به، والتقدير: (لا يكلُّون ولا يتعبون عن عبادته)؛ فحُذف إيجازًا لذِكْره سابقًا في نفي فعل الاستكبار، ولأنَّ المقصود هو وقوع الفعل دون النَّظر إلى مَن وقع عليه الفعل لكونه المقصود الأسمى والغرض المنشود من ذِكْره، فلمّا ذكر الفعل والفاعل؛ فُهِمَ منهما المفعول.

سرُّ الفصل في ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾:

تسبيح ملأ الليل والنهار، تسبيحٌ وقوده المحبة

فُصلت جملة ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ عن سابقتها لشِبْه كمال الاتِّصال، كأنَّ قائلًا قال: فما عمل هؤلاء الملائكة الكرام؟ فقيل: "يسبِّحون"؛ فوردت الجملة هنا استئنافًا بيانيًّا جوابًا عن الجملة السّابقة، فهم دائمون في العبادة مواظبون عليها لا ينقطعون عنها أبدًا.

إيثار التعبير بالفعل المضارع ﴿يُسَبِّحُونَ﴾:

ليس عند الملائكة وقتٌ فارغٌ كَبَني البشر؛ فهم مُستغرقون في التَّسبيح والذِّكر

جاء التَّسبيح في الآية الكريمة على صيغة الفعل المضارع ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ لتجدُّده واستمراره منهم ﷺ مع استحضار صورته في الأذهان؛ فهو تسبيحٌ مُتجدِّدٌ لا ينقطع منهم؛ فتسبيحهم كالنَّفس لبني آدم.

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 60، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 36.

تقديرُ مفعولِ التَّسبيح:

الملائكة الكرام لا يصرفون تسبيحهم وعبادتهم لغير الله تعالى

حُذف مفعول الفعل ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ هنا إيجازًا واختصارًا، ولكونه معلومًا لا يُنكر، والمُراد: يُسبِّحون اللّهَ تعالى تسبيحًا يليق بجلاله، ومعلوم أن فعل التَّسبيح مُتعلِّق بفاعله، وهو الملائكة هنا؛ فانصبَّ الحديث على الفعل وهو الحدث وفاعله، وحُذف المفعول لقصد الأولَيْن دون النَّظر إلى المفعول لفهمه من الحديث.

سرُّ تخصيص ﴿ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ بالذِّكر:

عملُ الملائكة ذِكْرٌ دائمٌ وعبادةٌ متَّصلة ليلًا ونهارًا لا تنقطع أبدًا

معلوم أنَّ الليل والنَّهار ظرفان لحياة الناس ومعاشهم، وعليهما قيام الدُّنيا ومصالح العباد، وهما الوقتان اللَّذان تُحدُّ بهما حياة البشر ومماتهم؛ فالليل للعباد سكنٌ ومُستقَرٌّ، والنَّهار محلُّ المعايش والأرزاق، فهدوء البشر في ليلهم وحركتهم في نهارهم؛ أمّا الملائكة المُقرَّبون فحياتهم بالذِّكر والعبادة والتَّسبيح ليل نهار لا تنقطع صلتهم لربِّهم ذكرًا وثناءً وتمجيدًا دون كَلِلٍ أو مَلَلٍ مع اعترافهم بفضل الله تعالى عليهم، والظَّرفان هنا مُتعلِّقان بالفعل ﴿يُسَبِّحُونَ﴾، والأصْلُ في الظَّرْفِ أنْ يَسْتَوْعِبَهُ الواقِعُ فيهِ؛ أيْ: يُسَبِّحونَ في جَميعِ اللَّيْلِ والنَّهارِ؛ فصار تسبيحهم مُستغرِقًا الزَّمن كلَّه، والمُراد أنَّ تسبيحهم في جميع آناء الليل والنهار دائمًا.

إيثار التعبير بالمضارع ﴿يَفۡتُرُونَ﴾:

همةٌ ونشاط يتمتَّع بهما هؤلاء الملائكة المقربون

مجيءُ الفعل ﴿يَفۡتُرُونَ﴾ على صيغة المضارعة دالٌّ على تجدُّد عبادتهم وتسبيحهم وعدم انقطاع عبادتهم الزَّمن كلَّه مع ما أفاده التَّعبير بالمضارع من استحضار صورتهم وهم يُسبِّحون ويَذكرون، والتَّعبير بهذا الفعل كناية عن الهِمَّة والنَّشاط اللَّذَيْن يتمتَّع بهما هؤلاء الملائكة المقربون الذين وصفهم الله تعالى بعدم انقطاعهم عن تسبيحه وذِكْره والثَّناء عليه بما هو أهلٌ له ﷻ.

موقع جملة ﴿لَا يَفۡتُرُونَ﴾ من الإعراب:

لا ينقطعون عن ذِكْر ربِّهم والثَّناء عليه ولا يعرفون الخمول

جاءت جملة ﴿لَا يَفۡتُرُونَ﴾ حالًا من فاعل الفعل ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ وهي حال مُبيِّنة لصاحبها؛ وهم هؤلاء الملائكة الذين لا ينقطعون عن ذِكْر ربِّهم والثناء عليه، وهي حال لازمة لكونها ملازمةً لهم لا ينفكُّون عنها؛ ويجوز فيه الاستئنافُ فضلًا عن الحاليَّة[1]، وقوله بالاستئناف يقصد كونها مفصولةً عن قوله: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ لشِبْه كمال الاتِّصال جوابًا عن سؤال مَن سأل: وما حالهم مع هذا كلِّه؟ فقيل: لا يفترون، أو هو استئنافٌ نحويٌّ مُتمِّمٌ لمُراد التَّسبيح المذكور دالٌّ عليه.

توجيهُ المتشابه اللَّفظيّ:

الإنكار من لوازم التَّأكيد في الخطاب

قال تعالى في سورة فُصِّلت: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ [فُصِّلت: 38]، وقد اقترن التسبيح وعدم السآمة بالاستكبار الذي هو من لوازم الإنكار فأكّده بالضمير (هم)، وعطف بالواو، ولما لم يُصرّح هنا بإنكار منهم، ولا ما يستلزمه من الاستكبار؛ لم يُؤكّد بالضمير، ولا عطف بالواو فقال: ﴿لَا يَفۡتُرُونَ﴾[2]، والسَّآمَةُ: المَلالَة ممّا يكثر لَبْثُه، فعلًا كان أو انفعالًا، والضَّجر والمَلَل من الإعياء[3]؛ وبهذا فهي تجمع بين معاني: يستحسرون ويفترون، إعياءً وتعبًا وسكونًا وانقطاعًا؛ فاستغنى بها في آية فُصِّلت.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

القذف والرّمي:

قوة الوحي بالحق للأنبياء صلوات ربي عليهم يُناسِب قوَّة الرِّسالة وعِظَمَها

القَذْفُ: الدَّفع بقوَّة إلى مسافةٍ بعيدةٍ كالسَّفينة في الماء بجريها، فخُصّص بالرمي القويّ من بعيد، واصطفاؤه في الآية يناسب دلالته

(1) السمين الحلبي، الدُّر المصون: 8/ 141.
(2) البقاعي، نظم الدُّرَر: 12/ 402.
(3) الراغب، المفردات: (سأم)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 301.

في السّياق؛ فهو إلقاءٌ للحقِّ من وحْيٍ وشرعٍ إلى أنبيائه بالحقِّ لا بالباطل، وذلكم مظنَّة القوَّة وامتداد التأثير وبعد زمانه وأثره، وهذا المعنى لا يُؤدّيه الرَّمي لما يحتمله من دلالة نبذ الشيء، وعدم اشتراط القوَّة والبُعد[1].

الدَّمغ والمَحْق والمَحْو:

الدَّمغُ: القهر والأخذ من فوقٍ، كما يَدْمَغُ الحقُّ الباطلَ، أمّا المَحْقُ: فهو النُّقصان، والمَحْو: يدلُّ على الذَّهاب بالشَّيء وذهاب أثره[2]، ويُلْحظ أنَّ الدّمغ يتضمّن معنى الغَلَبَة من فوق، والإبطال والمَحْق، وهو يناسب وقع الشِّدَّة في إزالة الباطل المناسب لقوّة الحق الإلهيّ المُبطل له، والمُتمثِّل بالوحي والرُّسل والرّسالات، بما تحمله من خير للبشرية، ونبذ للشَّرِّ بأنواعه؛ وهذا معنى لا يتضمَّنه لفظا المَحْق والمحْو.

قـــوَّة الـحـقِّ تُـنـاسـب شـدَّة دمغ الباطل

الزّاهق والذّاهب والزائل:

الزّاهق كلّ شيء هلك وبَطل واضمحلّ؛ من ذلك: زَهقتْ نَفْسُهُ؛ أيْ: ذهبت وخرجتْ، وزَهق الباطِلُ؛ أيْ: مَضى[3]، وانفلت من موضعه وهلك[4]، أمّا ذَهابُ الشَّيْءِ: فمُضيُّهُ[5] من غير معنى أنَّه هلك، والزَّوال: مفارقة الوطن والتَّنحّي، ويُقال في شيء قد كان ثابتًا[6]، وإيثار لفظ (زاهق) في الآية لاجتماع معنى المُضيِّ والبطلان والهلاك فيه؛ فلا أثر يبقى للباطل بإلقاء الحقِّ وظهوره عليه.

بإلقاء الحقِّ لا أثر يبقى للباطل

الفتور والسكون:

الفُتورُ ضَعْفٌ في الشَّيْءِ، وسكونٌ بعد حدّة، ولينٌ بعد شدّة، وهو

نـشـاط الملائكة في العبادة دائمٌ بـلا انـقـطـاعٍ أو سكونٍ أو ضعفٍ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رمى).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (محق)، و(محو).
(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن الأثير، النهاية، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (قذف).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 34.
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ذهب).
(6) السمين، عمدة الحفاظ: (زول).

انقطاع بعد مدّة، ومنه (الفَتْرَةُ)، وهي ما بين الرَّسولَيْن من رسل الله ﷺ[1]، أمّا السُّكون فيَدُلُّ على خِلافِ الاِضْطِرابِ والحَركةِ، فهو: ثبوت الشيء بعد تحرُّك[2]؛ وبذلك يكون معنى الفتور أنسب لسياق الآية، فقوله: ﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾؛ أيْ: لا يسكنون عن نشاطهم في العبادة ولا يضعفون، ولا يسكتون، ولا يقطعون عبادتهم، ولا ينفكّ نشاطهم عن ذلك.

(1) الخليل، العين، والجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة: (حسر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المُفردات: (سكن).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 33 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-75-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 33 : المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-75-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»